وثيقة عامة

رقم الوثيقة: ACT 30/005/2001 **بيان صحفي رقم: 66**

بيتر بننسون
لمحة عن حياة مؤسس منظمة العفو الدولية

"إذا طالع المرء الصحيفة، في أي يوم من أيام الأسبوع، سوف يجد خبراً من مكان ما من العالم بأن شخصاً قد سُجن أو عُذِّب أو أُعدم لا لشيء سوى لأن آراءه أو ديانته لا تروق لحكومته. وعندئذ لابد وأن يشعر القارئ بعجزٍ شديد. أما إذا اتحدت المشاعر في كل أرجاء العالم واتخذت شكل عملٍ جماعي، فسوف يصبح بالإمكان تحقيق شيءٍ ذي فاعلية."

لقد حفزّني على تأسيس هذا المكتب مقالة قرأتها عن اعتقال طالبين برتغاليين لأنهما رفعا كأسيهما تحية للحرية في أحد مطاعم لشبونة. لم أتملك نفسي من الغضب آنذاك، حتى أنني سارعت بالتوجه إلى كنيسة سان مارتن وأخذت أفكر فيما يمكن عمله من أجل حشد الرأي العام العالمي.

أدركت فيما بعد أنه ليس بوسع المحامين أنفسهم أن يؤثروا في مجرى العدالة في البلاد غير الديمقراطية. ولهذا كان من الضروري التفكير في تكوين جماعةٍ أكبر توجِّه مشاعر الحماس لدى أولئك الأشخاص المتناثرين في مختلف أنحاء العالم ممن يتوقون إلى أن تحظى حقوق الإنسان بقدرٍ أكبر من الاحترام والتقدير.

لقد مرَّ على البشرية حينٌ من الدهر توارت فيه الحقائق المروِّعة عن معسكرات الاعتقال ومراكز التعذيب في ظلامٍ دامسٍ خلف جدارٍ من السرية والتكتم، ولكن هذه الظلمة تبددت الآن، إذ سطع عليها النور المنبعث من شمعة منظمة العفو الدولية، وهي الشمعة التي يحيطها سلك شائك. عندما أشعلتُ شمعة المنظمة لأول مرة، خطر ببالي المثل الصيني الذي يقول: "بدلاً من أن تلعن الظلام أشعل شمعة".

(من حديث لبيتر بننسون في عام 1994، مقتطف من فيديو لمنظمة العفو الدولية "بيتر بننسون: تقدير وعرفان"). للحصول على نسخة من الفلم، يُرجى طلبها من:

World Images, Dominique O'Regan, 1 Host Street, Bristol BS1 5BX, United Kingdom
Tel:+ 44 (0) 117 930 4099

* * *

هناك أعدادٌ لا حصر لها من الأشخاص في شتى أرجاء العالم، ممن يواجهون خطر الاضطهاد سواء في الحاضر أو المستقبل، يشعرون بالامتنان لبيتر بننسون، مؤسس منظمة العفو الدولية، تلك الحركة الدولية التي تفتق عنها ذهنه في الستينيات، والتي وصفها أحد منتقديها بأنها "أحد أشد الأفكار جنوناً في عصرنا"، ولكنها أضحت حركة عالمية تضم مواطنين من شتى أرجاء الأرض اجتمعت كلمتهم على فضح المظالم التي ترتكبها الحكومات وعقدوا العزم على التصدي لها.

ولد بيتر بننسون في 31 يوليو/تموز 1921 في أسرة تنحدر من أصل يهودي روسي، وكان جده، غريغوري بننسون، من رجال البنوك، أما والدته، فهي السيدة المرموقة فلورا بننسون، التي تولت تنشئته وحدها بعد وفاة والده، العقيد جون سولومون، الضابط في الجيش البريطاني. وتولى تعليمه و.هـ. أودن في المنزل، ثم التحق بكلية إيتون وجامعة أكسفورد حيث درس التاريخ.

ومنذ نعومة أظافره، كانت لدى بننسون نزعة لمعارضة الظلم، حيث رفع شكوى إلى ناظر مدرسة إيتون حول رداءة نوعية الطعام الذي يقدم في المدرسة، مما دفع الناظر إلى كتابة رسالة إلى والدته يحذرها فيها من "الميول الثورية" لدى ابنها. وفي سن السادسة عشرة، شن أول حملة له بهدف دفع المدرسة، أثناء الحرب الأهلية الإسبانية، إلى دعم لجنة الإغاثة الإسبانية، وهي منظمة تأسست آنذاك لمساعدة الأطفال الذين فقدوا آباءهم أثناء الحرب من أنصار الجمهورية. وقد "تبنى" هو نفسه أحد هؤلاء الأطفال عن طريق المساعدة في دفع نفقات إعالته.

وقد بدأ اهتمامه بقضية السجن لأسباب سياسية وسوء المعاملة بوحي من كتاب أرثر كوستلر ***العهد الأسباني***، الذي وصف أهوال السجن والتعرض للتهديد بالقتل في ظل حكم الفاشيين. وأدى به هذا الاهتمام إلى شن حملته التالية، التي كان محورها قضية اليهود الفارين من ألمانيا الهتلرية. وقد واجه بعض المعارضة، ولكنه دفع زملاءه في المدرسة وأسرهم إلى التبرع بمبلغ أربعة آلاف جنيه إسترليني لاستقدام شابين من اليهود الألمان ممن كان الخطر يتهدد حياتهما إلى بريطانيا. وبعد أن غادر إيتون، ساعد أمه التي نذرت نفسها للاشتغال ببعض القضايا السياسية على إيجاد أسر في بلدان مختلفة تتولى رعاية الأطفال اللاجئين الذين يفدون إلى لندن.

وبعد تخرجه في أكسفورد، انضم بننسون إلى الجيش البريطاني حيث عمل في المكتب الصحفي لوزارة الإعلام. وأنهى دراسة القانون وهو مازال في الجيش بعد انتهاء الحرب، وترك القوات المسلحة لكي يمارس المحاماة، وانضم كذلك إلى حزب العمال، وأصبح من زعماء "جمعية محامي العمال".

وفي مطلع الخمسينات، أوفده مؤتمر اتحاد العمال إلى إسبانيا لحضور محاكمة بعض النقابيين، وقد رُوِّع هناك بما شاهده في قاعات المحاكم وفي السجون على السواء. وتملكه الغضب ذات مرة إزاء التجاوزات التي شابت إجراءات المحاكمة، فأعد قائمة بها وناقشها مع أحد القضاة على العشاء. وانتهت المحاكمة بتبرئة المتهمين، وهي حالة نادرة في إسبانيا الفاشية.

ومن خلال أنشطة كهذه، بدأ بننسون يكتسب شهرة عالمية. وفي قبرص، قدم العون والمشورة إلى عدد من المحامين القبارصة اليونانيين ممن كانوا يترافعون عن مواطنيهم الذين يناوئون الحكم البريطاني لجزيرتهم. كما استطاع أن يوحد صفوف المحامين من أعضاء أحزاب العمال والأحرار والمحافظين، وجعلهم يرسلون مراقبين إلى المجر في الأيام الأخيرة لانتفاضة عام 1956 لرصد المحاكمات التي تلت قمع هذه الانتفاضة، وإلى جنوب أفريقيا، حيث كان من المقرر أن تُعقد محاكمة "بتهمة الخيانة العظمى". ودفعه النجاح النسبي الذي حققه في هاتين القضيتين إلى تكوين منظمة "العدالة" التي تمتعت، شأنها شأن منظمة العفو الدولية، بسجلٍ حافلٍ في مجال الدفاع عن سيادة القانون على مدى أكثر من ثلاثة عقود.

وكان من شأن هذا النشاط المستمر أن يمهد الطريق إلى تأسيس مشروعه الرئيسي، أي منظمة العفو الدولية، في عام 1961. وكان الدافع وراء هذه الفكرة هو ما تملكه من غضب لدى قراءته لنبأ في صحيفة عن القبض على طالبين في مقهى في لشبونه والحكم عليهما بالسجن لأنهما شربا نخباً للحرية.

وقد عبَّر بنسون عن ذلك بقوله "أعتقد أن هذه الأفكار قد واتتني في عام 1960، الذي اعتُبر عاماً عالمياً للاجئين. وكانت تلك هي السنة الأولى من سلسلة السنين التي كُرست لمعالجة بعض القضايا الكبرى. وقد كرس ذلك العام لمحاولة تفريغ معسكرات النازحين في شتى أرجاء أوروبا، وحققت هذه الجهود نجاحاً هائلاً، مما أدى بي إلى التفكير في إمكانية تخصيص سنة أخرى لإفراغ معسكرات الاعتقال."

ومع نشر مقال بعنوان "السجناء المنسيون" في صدر الصفحة الأولى من صحيفة الأوبزفر البريطانية، ولدت منظمة العفو الدولية. وسرعان ما انتشر مصطلح "سجين الرأي" على الألسن، وأصبح شعار الحركة الذي يصور شمعة تحيطها الأسلاك الشائكة رمزاً عالمياً للأمل والحرية.

وخلال السنوات القليلة الأولى من عمر المنظمة، عمل بيتر بننسون بلا كلل أو ملل من أجل الحركة الوليدة التي أخذت تنمو وتتسع، كما وزودها بالكثير من الموارد المالية التي كانت في حاجة لها في أعوامها الأولى حتى تقف على أقدامها، وأخذ يطوف بالبلدان الواحد بعد الآخر في بعثات بحثية، ولعب دوراً في كل شأن من شؤون المنظمة. ففي إحدى المرات، على سبيل المثال، تنكر في هيئة مطرب شعبي بريطاني حتى يتمكن من زيارة بلد كانت الدخول إليه تكتنفه قيود شديدة (هايتي).

وتعرضت منظمة العفو الدولية لمعارضة شديدة بعد أن فضحت الانتهاكات التي يرتكبها جهاز الأمن في جنوب أفريقيا (بوس)، مما أدى إلى وقوع اعتداءات على مكتبها الصغير في لندن. كما شنت الصحف حملة انتقادات شديدة ضد المنظمة بعد أن كشفت النقاب عن جهود الحكومة البريطانية في إرسال معونات للسجناء السياسيين في روديسيا الجنوبية.

ومن خلال التجارب التي مرت بها المنظمة في تلك السنوات الأولى، وضعت مبادئ عملٍ جديدة رفعتها في السنوات اللاحقة إلى مرتبة الصدارة بين منظمات حقوق الإنسان، ونعني بذلك الحيدة السياسية والاستقلال عن الحكومات والدقة الشديدة في استقصاء المعلومات.

وعن هذا يقول بننسون: "في ذلك الوقت، كنا لا نزال نتلمس خطواتنا الأولى ونتعلم من كل تجربة نمر بها. لقد جرَّبنا كل أسلوب من أساليب الدعاية، وكنا جد شاكرين للعون الكبير من فرق الصحفيين والإعلاميين في شتى أرجاء العالم الذين لم يكتفوا بموافاتنا بمعلومات عن أسماء السجناء، بل خصصوا لنا مساحة لنشر قصص هؤلاء السجناء. وفي رأيي أن الجانب الدعائي من نشاط منظمة العفو الدولية هو الذي جعل اسمها يتردد على كل لسان، ليس بين القراء فحسب، بل بين الحكومات كذلك، وهذا هو المهم."

وفي عام 1966، نشبت أزمة داخلية بسبب تقرير لمنظمة العفو الدولية حول تعذيب القوات البريطانية لبعض المشتبه فيهم من أديني. وادعى بننسون أن المخابرات البريطانية قد اخترقت المنظمة، وأن من الضروري نقل مقرها إلى بلد محايد. ولكن التحقيق المستقل الذي أُجري بخصوص الموضوع لم يؤيد دعواه، فانسحب من المنظمة بصفة مؤقتة وكرس نفسه للصلاة والكتابة: وكان قد تحول إلى الكاثوليكية، وأصبح من أشد المؤمنين بها.

ولكنه لم يتوقف عن السعي لبناء عالم أفضل. وأسس جمعية لمرضى الجهاز الهضمي، وكان هو نفسه من هؤلاء المرضى، وذلك بهدف نشر الوعي والمعرفة بتلك الأمراض. وفي الثمانينيات، أصبح رئيس جمعية "مسيحيون ضد التعذيب" حديثة التأسيس، وفي مطلع التسعينيات، ساعد في تأسيس منظمة لمساعدة الأطفال الذين فقدوا آباءهم على يد نظام تشاوتشيسكو في رومانيا.

ومع ذلك، لم يفقد بننسون مطلقاً حماسه لمنظمة العفو الدولية، وعندما عُين السويدي توماس هامربيرغ أميناً عاماً للمنظمة في منتصف الثمانينيات، عاد بننسون ليلعب دوراً نشطاً في الحركة كمتحدث باسمها وكمناضل في صفوفها. إلا إنه لم يكن يوافق على سياساتها على طول الخط، ومثال ذلك أنه اختلف علانية معها حول قرارها برفض اعتبار مُردخاي فانونو في عداد سجناء الرأي. ويُذكر أن فانونو مواطن إسرائيلي سجنته إسرائيل بعد أن أفشى أسرار برنامجها لتصنيع الأسلحة الذرية.

وكان بننسون هو أول من تفوَّه بتلك الكلمات الخالدة التي أصبحت تُطبع على ملصقات منظمة العفو الدولية وبطاقاتها البريدية بعشرات اللغات في شتى أنحاء العالم:

> "إن الشمعة لا تحترق من أجلنا، بل من أجل أولئك الذين عجزنا عن إنقاذهم من غياهب السجون، ومَنْ أُزهقت أرواحهم وهم في طريقهم إلى السجون، ومَنْ تجرعوا آلام التعذيب، ومن تعرضوا للاختطاف و"الاختفاء". إن هذا ما ترمز إليه الشمعة. . ."

وفي يوم الثلاثاء 10 إبريل/نيسان 2001، مُنح بيتر بننسون جائزة "فخر بريطانيا"، التي تقدمها صحيفة "ديلي ميرور" البريطانية لمن حققوا إنجازاتٍ مرموقة على مدار حياتهم.

Peter Benenson: Biography